الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

٨

﴿ مؤتمر لكنهو سنة ١٩١١ ﴾

مقدمة المجلة الفرنسوية :

عقد مبشرو البلاد الاسلامية من البروتستان المؤتمر الثاني العام بمدينة هم في (لكنهو الهند) يوم ٢١ يناير سنة ١٩١١ أي بعد خمس سنوات من انعقاد مؤتمر القاهرة

ومعلوم أن المبشرين كانوا قد تفاوضوا في (مؤتمر أدنبرج) بمسألة مقاومة الاسلام ودرسوا وسائل مناضلته من كل الاوجه . ولما عقدوا مؤتمر لكنهو ارتاحوا لما رأوا من نجاحهم واشتركوا مع زعيمهم القسيس « زويمر » في معرفة موقف الاسلام وقوته وأسبابها . وأظهروا استعداداً لتطبيق أعمالهم على الحالة الحاضرة .

والظاهر من مطبوعات البروتستان ومنشوراتهم انهم يتذرعون بالتؤدة في بذل المجهود لمعرفة موقفهم وميدان عملهم ودرس محاسنهما وهم لا يدعون شيأ من هذا القبيل . ومنشأ هذا التضامن في جماعة المبشرين البروتستان هو المواهب العملية التي امتاز بها الانجلوسكسوني والمزايا النظامية التي اختص بها الجرماني . ثم قالت هذه المجلة : طلبنا من القسيس زويمر أن يوافينا بملخص أعمال المؤتمر أثناء انعقاده فأجابنا الى طلبنا وأرسل لنا مجموعة تضمنت أبحاث المبشرين في ذلك المؤتمر .

(*) تابع لما نشر في الجزء السابع ص ٥١١ .

برنامج المؤتمر وترتيبه :

انعقدت جلسات المؤتمر في باحة مدرسة « ايزابلاثوربون » البروتستانية الخاصة بالبنات وامتدت الى يوم ٢٩ يناير سنة ١٩١١ وهو ثاني مؤتمر خاص بالاسلام . والاول هو مؤتمر مصر الذي عرفه القراء

والذي يدخل الى باحة ذلك المؤتمر يرى جدرانه مستورة بالخرائط والاحصائيات التي يتبين منها مبلغ اتساع نطاق الاسلام وارتقائه وتقدمه في الايام الاخيرة . وعلى المنصة التي امام الرئيس كرة أرضية مجسمة وعليها هلال وصليب، أما المقصود من هذا الرمز فظاهر ومفهوم .

وفي جانب الباحة غرفتان عرضت فيهما الغرائب المتعلقة بالاسلام مع مطبوعات جمعية التوراة التبشيرية والمظنون ان هذا المعرض سيبقى تحت مراقبة لجنة مواصلة عمال مؤتمر مصر .

واشترك في المؤتمر ١٦٨ مندوبا و ١١٣ مدعوا عن ٥٤ جمعية تبشيرية ونزل كل هؤلاء ضيوفا على مبشري لكنهوء .

وبين المشتركين في المؤتمر القسيس زويمر — الذي تقول عنه المجلة الفرنسوية انه الرجل الذي لا يهرم لانه درس الاسلام سنين طويلة بعد أن عاش سنين أطول بين الشعوب الاسلامية التي يحبها حبا جماً : — ولم يكن القسيس زويمر رئيسا المؤتمر فقط بل كان مديره الروحي أيضا .

ومن هؤلاء المشتركين الدكتور (ويتبرخت) الجرماني الانكليزي المشهور والدكتور (وهري) صاحب التعليق المعروف على القرآن . ومن المتنصرين الذين حضروا المؤتمر (متري افندي) الشاب المصري الذي يدير جريدة عربية والقندلفت (احسان الله) والمبشر (أحمد شاه) الذي يحسن معرفة الاسلام وهو واضع (قاموس القرآن)

ومنع الصحافيون الانكليز والاميركان من حضور جلسات المؤتمر ولم ترسل لهم مذكراته الا بعد ان عنيت لجنة القرارات بتنقيحها .

وكانت مجلة العالم الاسلامي الانكليزية ـ التي يصدرها رئيس هذا المؤتمر ـ قالت قبل ان تذكر ماجرى في لكنهوء : « تمخض الاسلام في السنوات الخمس التي أعقبت مؤتمر مصر بحوادث خارقة لم يسبق لها نظير ففيها حدث الانقلاب الفارسي والانقلاب العثماني وما نتج عنهما ـ وفيها انتبهت مصر لحركتها الحاضرة ـ وعني المسلمون بمد السكة الحجازية ـ وتأسست في الهند مجالس ادارية وشورية وكان في قوانين انتخاباتها امتيازات للمسلمين ـ ودخلت الامور الاسلامية في قالب يلائم العصر ازداد به التمسك بمبادئ الاسلام ـ والمسلمون يحاولون احياء دينهم في الصين ـ وانتشر الاسلام في افريقية والهند الغربية والجزائر الجنوبية

كل هذه الحوادث تحتم على الكنيسة أن تعمل بحزم وجد وتنظر في أمر التبشير والمبشرين بكل عناية. وعلى ذلك فسيشمل برنامج مؤتمر لكنهوء الامور الآتية:

أولها ـ درس الحالة الحاضرة

ثانيها ـ انهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين والتعليم النسائي

ثالثها ـ اعداد القوات اللازمة ورفع شأنها .

هذا ما نشرته مجلة الرئيس عن مواد تضمنها برنامج المؤتمر . أما البرنامج نفسه فقد عرض على المؤتمرين بعد قراءة الخطب الافتتاحية وانتخاب اللجنة وتلاوة تقارير لجنة مواصلة أعمال مؤتمر مصر وهذه مواده :

الاولى ـ النظر في حركة الجامعة الاسلامية ومقاصدها وطرقها والتأليف بينها بين مسألة تنصير المسلمين

الثانية ـ النظر في الانقلابات السياسية في العالم الاسلامي وعلاقاتها بالاسلام ومركز المبشرين المسيحيين فيها .

الثالثة ـ موقف الحكومات ازاء ارساليات تبشير المسلمين

الرابعة ـ الاسلام ووسائل منع اتساع نطاقه بين الشعوب الوثنية .

الخامسة ـ تربية المبشرين على ممارسة تبشير المسلمين والمزايا النفسية اللازمة لذلك . والبحث في الدروس الاعدادية ودروس التبشير . وتأليف الكتب للمبشرين وللقراء المسلمين

السادسة ـ حركات الاصلاح الديني والاجتماعي .

السابعة ـ الارتقاء الاجتماعي والنفسي بين النساء المسلمات

الثامنة ـ الاعمال الخيرية

التاسعة ـ القرارات العملية وتقارير اللجان المالية للمطبوعات والمنشورات

خطة الرئيس الافتتاحية

افتتح الفسيس زويمر مؤتمر لكنهو بخطبة أنيقة تكلم فيها على المسائل الاسلامية التي سيتناقش فيها الاعضاء . فقسم خطبته الى أربعة أقسام

الاول ـ الاحصاآت الاسلامية

الثاني ـ حالة المسلمين السياسية وارتقاؤها

الثالث ـ ماطرأ على الاسلام بعد مؤتمر مصر من الانقلابات السياسية والفكرية

الرابع ـ الخطة التي اتبعتها كنائس أوربة واميركة بعد مؤتمر مصر

الاحصاآت الاسلامية :

قال الرئيس زويمر : ليست لفظة « العالم الاسلامي » شيئا اخترعه المبشرون للاشارة الى معضلة التنصير العام ، بل هي كلمة دقيقة تدل على موقف حقيقي

ثم أشار الى مجلة العالم الاسلامي الفرنسية وما نشرته عن الاسلام

ودخل بعد هذا في موضوعه فقال : ان عدد المسلمين يزيد قليلا على ٢٠٠ مليون ، وذلك بحسب متوسط الاحصائيات الكثيرة التي يتراوح تقدير المسلمين فيها بين ١٧٥ مليونا و ٢٢٩ مليونا .

فمسلمو روسية وبخارى وخيوه ٢٠ مليونا ومسلمو الصين بين ٥ ملايين و ١٠ ملايين ويزيد عدد مسلمي الهند على ٧٧ر٠ر٦٨ر٦٢ ولاحظ أن المسلمين الذين تحت سلطة انكلترة أكثر من الذين تحت سلطة أي دولة غيرها في هذه العصور أو في العصور المتوسطة ، ومسلمو المستعمرات الانكليزية والهند يبلغ عددهم ٩٥ مليونا أي انهم يزيدون ٥ ملايين على النصارى الذين يحكمهم الانكليز . ومسلمو الهند الانكليزية آخذون في النمو وقد جاء في كتاب (الهند وحياتها وأفكارها) الذي ألفه الدكتور

(جونس) ان عدد المسلمين ازداد في السنوات العشر الاخيرة ٩١ في الالف مع أن زيادة عدد السكان بنسبة ١٩ الالاف . وفي جاوه ٦٠٠ ر ٢٧٠ ر ٢٤ مسلم ومسلمو روسية ٢٠ مليونا وفي السلطنة العثمانية ٠٠٠ ر ٢٧٨ ر ١٤ مسلم وعدد المسلمين في كل واحد من أقطار مصر وفارس ومراكش والجزائر وبلاد العرب والافغان وغيرها يتراوح بين ٤ ملايين و٩ ملايين ولا تخلو بلدة في آسية وأفريقية من سكان مسلمين ، وقد يكون المسلمون أقل من غيرهم في بعض هذه البلاد الا أن هذه الاقلية في نمو مستمر . وفي بلاد التبت المقفلة أبوابها في وجوه الاجانب ٢٠ الف مسلم . والاسلام منتشر في الكونغو وبلاد الكاب . وهو في نماء سريع في بلاد الحبشة . ويدور على الألسنة منذ انعقد مؤتمر مصر أن كثيرا من القبائل النصرانية التي في شمال الحبشة دخلت في الاسلام وان كانت أسماء أفرادها لا تزال كما كانت من قبل .

والمبشرون المنتشرون على ضفتي النيل وشرقي أفريقية وبلاد النيجر والكونغو يرسلون أصواتهم بالشكوى من انتشار الاسلام بسرعة في هذه الأنحاء . وبالرغم من أن انتشاره في الهند الهولندية قد لقي موانع من مجهودات جمعيات التبشير الهولندية والالمانية فهو يتوطد ويثبت هناك لان المسلمين أخذوا يستبدلون التقاليد الحشوية والخرافية ويتمسكون بعقائد ثابتة قوية ، ففي (صومطره) اكتسح الاسلام الاوثنية وفي جاوه ظهر بمظهر جديد على أثر تأسيس المدرسة الجامعة الاسلامية وكثرة طبع القرآن وازدياد عدد الدعاة والمرشدين المسلمين . وما زال الوطنيون يدخلون في شبكة الاسلام الى درجة يتعذر فيها على المبشرين المسيحيين أن يلقوا لأعمالهم رواجا .

وفي أميركة عدد كبير من المسلمين لا يستهان به لانه صار ٥٦ ألفاً وفي مستعمرة (لاغوبان) الانكليزية فقط ٢٢ ألفا منهم وفي أميركة الوسطى ٢٠ ألفا.

والبلاد الاسلامية التي لم يدخلها المبشرون البروتستان هي التركستان الروسية وفيها خمسة ملايين من المسلمين وخيوه وفيها ٨٠٠ ألف وبخاري وفيها ٠٠٠ ر ٢٥ ر ١

والافغان وفيها ٥ ملايين و برقه (بني غازي) وفيها ٠٠٠ ر ١٠٠ وتونس وفيها مليون ووهران وفيها ٠٠٠ر٣٠٠ر١ وريف مراكش وفيه ٠٠٠ر٢٦٠ ر ٢ وفي وادي مولويه وصحراء مراكش يتنافس الاسلام والنصرانية في الاستيلاء على الوثنية . ونجد والحجاز وحضرموت لا يوجد فيها مبشر واحد وجزائر مالزيه وفيها أكثر من مليون مسلم خالية من ارساليات التبشير

الانقلابات السياسية والجامعة الاسلامية

انتقل الرئيس زويمر في خطبته الافتتاحية الى قسمها الثاني الخاص بالانقلابات السياسية التي حدثت أخيرا في العالم الاسلامي فشكر الله على حدوث هذه الانقلابات في غرب آسية إذ كانت موجبة للاعجاب والاستغراب و بددت معالم التجسس وأقامت الحرية على انقاض الاستبداد وصار التجول في البلاد العثمانية والعربية والفارسية غير ممنوع وأصبح عبدالحميد سجينا في سلانيك . وارتبطت المدينة بدمشق بواسطة السكة الحديدية وتلألأ نور الكهربائية على الروضة النبوية . كل هذا يعد عصرا جديداً في تاريخ آسية الغربية وأفريقية الشمالية

وصار مسلمو روسية يحاولون تعزيز حقهم في الدوما و يؤلفون الجمعيات للتدرج في مراقي المدنية .

إلا أن النزعة الجديدة في مصر إسلامية محضة يراد بها جعل مصر للمصريين باعتبار أن المصريين مسلمون . ونتيجة ذلك اضطهاد المسيحيين في مصر (آ) خصوصا اذا كانت إنكلترة لا تترك خطتها في ترجيح كفة المسلمين .

وان بوادر الانقلابات قد أخذت تظهر في جزائر مالزية أيضا فأسس شبان (جاوه) جمعية الاتحاد العام (بوندي أوتومو) الذي يرمون به الى إحداث ارتقاء اجتماعي واتباع مبادئ التربية والاستقلال الاداري . وقد فسروا القرآن بفهمهم .

وتوجد في (طوكيو ـ اليابان) جريدة باللغة الصينية اسمها (النهضة الاسلامية) منتشرة في كل بلاد الصين . وجريدة انكليزية ينشرها مسلم مصري وآخر هندي . وفي ذلك دلالة على مبلغ حركة الجامعة الاسلامية .

واحتلال الجيش الفرنسي لمقاطعة (واداي) بأفريقية في العام الماضي أهم حادث سياسي في هذا العصر ، لان واداي كانت أهم مركز في أفريقية للاتجار بالرقيق وانتشار الاسلام ، وعلى ذلك فان هذا المركز أصبح تحت سلطة أوربية تحتفظ به مهما كلفها ذلك . وهذه الحادثة جعلتنا في مأمن من أن تكون واداي بعد الآن مركزا للحركات الحربية ضد الحكومات النصرانية وهي أيضا ستقلل نفوذ مشايخ الزوايا السنوسية بحيث لا يستطيعون الوقوف في طريق التقدم الاستعماري والتجاري في الاسلام .

ولم يبق الآن غير ٨٠ر١٢٨ ر ٣٧ مسلم تحت سلطة حكومات اسلامية . وقد انتقلت السلطة السياسية على أكثرية المسلمين من يد الخلافة الاسلامية الى يد انكلترة وفرنسة وروسية وهولندة . وعدد المسلمين الذين تحت سلطة كل واحدة من هذه الدول يفوق عدد المسلمين الموجودين في كل أرجاء السلطنة العثمانية ، وان عدد المسلمين الذين تحت سلطة الدول النصرانية سيزداد كثيرا عقيب انقلابات قريبة الحصول وبذلك تزداد مسؤولية الملوك النصارى في مهمة تنصير العالم الاسلامي (!)

الانقلابات الاجتماعية والفكرية :

قال الخطيب : ان الاسلام قد بدأ يتنبه لحقيقة موقفه . ويشعر بحاجته الى تلافي الخطر . وهو يتمخض الآن بثلاث نهضات إصلاحية : الاولى إصلاح الطرق الصوفية ، الثانية تقريب الافكار من الجامعة الاسلامية ، الثالثة إفراغ العقائد والتقاليد القديمة في قالب معقول .

ومصدر هذا الشعور بالحاجة الى الاصلاح واحد ، وهو التغير الذي حدث في الاسلام عند ما اكتسحت أهله الافكار العصرية والحضارة الافرنجية ، ولا يمنع هذا أن يكون الشعور مؤديا الى عاطفة الاحتجاج والنفور أو الى التوفيق والتحكيم لان كلا العاطفتين تجتمعان عند جعل الاسلام في مستوى الافكار العصرية .

قال (اسماعيل بك غصبرنسكي) في جريدته (ترجمان) : ان العالم في تغير وارتقاء مستمر ولكن المسلمين لا يزالون متقهقرين أشواطا بعيدة

وقال (الشيخ علي يوسف منشئ أهم جريدة اسلامية) في خطاب ألقاه على جمهور عظيم: ان المسيحيين قد سبقونا في كل شيء. فالمسلمون ليس لديهم بواخر في البحر، وهم غير منتبهين لموقفهم، ومجهوداتهم متشتتة، وكل ما يفعلونه أنهم يمشون وراء مرشديهم ولكن بغير اهتمام ذاتي لادراك الامم التي سبقتهم. ومثل كلام هذين الرجلين ما سمعناه مرارا في الهند وغير الهند.

ثم قال القسيس زويمر: وان نهضة الشعوب الاسلامية وانتباهها لمعرفة مركزها يدعوانها الى التساؤل عن طريقة التوفيق بين المبادئ الدستورية والمبادئ الدينية وتاريخ الدستور الفارسي وحركة الارتجاع في البلاد العثمانية يؤيدان وجود تباين بين الافكار الديموقراطية ونصوص القرآن (!...)

ويمكننا أن نرتاب في صحة التصريح الصادر من شيخ الاسلام عن انطباق تأسيس مجلس المبعوثان الثاني عن النصوص القرآنية (!) ومما يؤيد ارتيابنا وقوف المبعوثين المسلمين المعروفين بالتقى في وجه كل اصلاح يعرض على مجلس المبعوثان والصحف المصرية تدافع عن الفظائع التي أمر بها سلطان مراكش والبدو يخربون السكة الحديدية الحجازية بدعوى أن (العربات) المخصصة فيها الصلاة تناقي الشعائر الاسلامية (!!)

وفي العالم الاسلامي الآن حركتان متناقضتان يحمل لواء الحركة الاولى رجال الصوفية والمشايخ في اليمن والصومال والبوادي وشعارهم الرجوع الى التعاليم المحمدية، والحركة الثانية يتولى زعامتها أنصار الاصلاح ومبشرو الاسلام الجديد في مصر والهند وجاوه وفارس وهؤلاء يبنون أساسهم على وضع الطرق المعقولة والصحف الاسلامية في (باكو) تتبع رجال الحزب الثاني الذي يقول ان الجمود والخرافات مما طرأ على الاسلام وهو غريب عنها كما أن فظائع دواوين التفتيش في القرون الوسطى ليست مما يأمر به المذهب الكاثوليكي

ثم أشار الى كتاب (حقيقة الاسلام) الذي ألفه محمد بك بدر المتخرج في جامعة أدنبرج فقال ان هذا الكتاب يدل على أن أشياع الاسلام الجديد (!) يريدون أن يرموا من السفينة مشحونها لينقذوها من الغرق.

وقال القسيس زويمر بعد ذلك : ان تأويل سورة الكهف وسورة النساء وتطبيقها على مقتضى العقل أمر مستحيل (!) ولو اقتصرنا على مطالعة ما كتب عن الحجاب وتعدد الزوجات في الصحف الاسلامية يتضح لنا أن ما يظهر لنا من وحدة الافكار في الاسلام غير صحيح وهذه الوحدة مهددة بالنزاع والتناقض

ولا ريب أن في فارس والسلطنة العثمانية بل والبلاد العربية ألوفا من المسلمين مقتنعون بصحة النصرانية (١) ومخالفتها للاسلام (؟ !)

وأشار الى قول الدكتور (و . شيد) من أن الاسلام يتحكك في كل قطر بالديانة المصرية وعاداتها . وملاحظته هذه الانقلابات يتوقف عليها بقاؤه » فتساءل عن نتيجة ذلك وعما اذا كان في الامكان مجاراة تيار الحضارة مع الاحتفاظ بمبادئ القرآن وتعاليمه وعما اذا كان التقسيم الاجتماعي والعقلي المجرد من كل صبغة دينية كافيا لسد الحاجة الروحية في الملايين من المسلمين . أو ان العالم الاسلامي - رجاله ونساءه - ينهض من كبوته ليلتحق بمعالم المجد الذي أبقاه على الارض يسوع المسيح ابن الله (؟ !) (٢)

خطة الكنائس بعد مؤتمر مصر :

وانتقل زويمر بعد هذا الى القسم الرابع من خطابه وهو الكلام على الخطة التي اتبعتها كنائس أوربة وأمريكة بعد مؤتمر مصر . فذكر أن مؤتمر مصر كان فاتحة عصر جديد لتنصير المسلمين لانه كشف الحجاب عن أمور كثيرة كانت مبهمة وملتبسة وحث الكتاب على وصف أعمال المبشرين في بلاد الاسلام واستنجد بالكنائس واستصرخها . فخاضت الجرائد والمجلات في مسألة الانقلاب العثماني والانقلاب الفارسي والنهضة المصرية وحركة الجامعة الاسلامية ومكانها من الحالة السياسية الحاضرة . وكل هذه الكتابات التي نشرتها الجرائد أبانت عما يجب أن نعمله في العالم الاسلامي وصنفت الكتب الكثيرة التي يراد بها تعريفنا بلاد الاسلام وحالات المسلمين مثل كتاب (المشرق الادنى والمشرق الاقصى)

(١) ما أجرأه على الكذب قاتله الله ! (٢) لم يكن للمسيح عليه السلام أرضي ولم يبق على الارض الا التعاليم التي كان يقاسي بلاياها ويبلغها الى أن قبض ورفعه الله اليه صالح

الذي طبع منه ٤٥٠٠٠ نسخة ومثل كتاب (اخواننا المسلمات) وكتاب (العالم الاسلامي) الذي طبع منه ٥٠٠٠٠ نسخة وأكثر هذه الكتب نشر بلغات متعددة . وكتب المبشرون في هذه المدة مقدار عشرين كتابا بحثوا بها في المعضلة الاسلامية من كل أوجهها وكلها مبنية على بحث واستقصاء . ومن هذه الكتب كتاب (دين الاسلام) (والشعائر الدينية الاسلامية)و (الاسلام والنصرانية في الهند والشرق الاقصى) و (صليبيو القرن العشرين) و (مصر والحرب الصليبية) و (الاسلام في الصين)

وختم القسيس زويمر خطابه الافتتاحي بقوله : اذا نظرنا الى البلاد التي يحكمها هذا الدين الكبير المخاصم لنا والى البلاد التي يتهددها بحكمه اياها يظهر لنا أن كل واحدة من هذه البلاد هي رمز لعنصر من المعضلة الكبرى . فمراكش في الاسلام مثال للانحطاط . وفارس مثال للانحلال . وجزيرة العرب مثال للركود . ومصر مثال لمجهودات الاصلاح . والصين مثال للاهمال . وجاوه مثال للتغير والانقلاب . والهند مركز التحكك بالاسلام . وأفريقية الوسطى مكان الخطر الاسلامي

والاسلام يحتاج قبل كل شيء الى المسيح ؟ . فهو الذي يرسل أشعة النور الى مراكش . ويعيد الوحدة لفارس والحياة لجزيرة العرب والنهضة لمصر ويرد الى الصين ما أهمله الاسلام فيها . وهو الذي يبقي لاهالي مالزية بلادهم ويزيل الخطر العظيم من أفريقية ! ...

بعد مؤتمر مصر

رأى القائمون بمؤتمر لكنهؤ أن نقرأ قبل الخوض في موضوعات هذا المؤتمر تقارير اللجان التي تألفت بعد مؤتمر مصر . فقرأ الدكتور (ويتبرخت) الالماني تقريرا عن حالة المؤلفات التي صنفت لتبشير المسلمين . وأبان أن دائرة انتشار هذه المؤلفات قد اتسعت جدا باللغات الثلاث التي هي أهم اللغات الاسلامية ويعني بها العربية والفارسية والاوردية . وان قسما كبيراً من هذه المطبوعات خاص بالبلاد العثمانية ومنها ما تكرر طبعه مثل مؤلفات القسيس (بفندر) ومنها ما هو

مكتوب بأسلوب عصري صار يفيد التبشير منذ أخذ العالم الاسلامي يتحكك بالعلوم العصرية . وأهمية هـذه المؤلفات كبيرة في الهند لان الذين يكتبونها هم مسلمو الهند المتنصرون مثل (عماد الدين) الذي حصل من مدارس انكلترة على لقب (دكتور) في اللاهوت .

وبهذه اللغات الثلاث صار يمكن للمبشرين أن يتحككوا بثلثي المسلمين في العالم . أما الثلث الثالث فمؤلف من ١٠ ملايين صيني و ٢٠ مليونا من السلافيين و ٢٥ مليونا من السود . وهولاء لا توجد في لغاتهم كتب تبشير

ثم تليت تقارير أخرى في بيان ضرورة نشر مؤلفات في المناظرات الدينية التاريخيـة التي تكون مكتوبة بأسلوب عصري على ما تقتضيه حالة المسلمين في مصر والهند وسائر أقطار الشرق . ثم أشاروا الى مساعدة صحف أوربة الكبرى للمبشرين لاهتمامها بالامور الاسلامية . ومن أدلة هذا الاهتمام انشاء مجلة العالم الاسلامي الفرنسية (١) ومجلة الاسلام الالمانية ودائرة المعارف الاسلامية التي نشرت بثلاث لغات .

الجامعة الاسلامية :

و بعد أن تليت التقارير الكثيرة في موضوعات مختلفة بدأ المؤتمرون بالمسائل التي عقدوا مؤتمرهم لاجلها . وافتتحوا ذلك بمسألة الجامعة الاسلامية فتقدم عنها ثلاثة تقارير : الاول من القسيس (نلسن) عن « حركة الجامعة الاسلامية في السلطنة العثمانيـة » . والثاني من القسيس (وزنر) السويسري عن « الجامعة الاسلاميـة في أفريقية » والثالث من القسيس (سيمون) عن « حركة الجامعة الاسلامية في مالزيه » .

قال القسيس نلسن عن الجامعة الاسلامية في السلطنة العثمانيـة : ان حركة هـذه الجامعة قد ضعفت جدا بعد خلع السلطان عبد الحميد ولـكن لا تزال في

(١) نقلت مجلة العالم الاسلامي مقدمة المنار لهذه المقالات (الغارة على العالم الاسلامي) وعقبتها بمقال تتصل فيه من الصبغة الدينية وأرسل الينا أحد أصدقائنا في باريس تلك القطعة وربما عربناها ونشرناها في المنار بعد تذييلها بما يقتضي

الاهالي روح تضامن ملازمة للاسلام وهي سائدة بين مسلمي سورية الى درجة تدعو للتبصر في علاقتها بزعماء الفكرة الاسلامية

ثم قال ان الالوف من مسلمي الارض يتجهون في كل سنة الى (مكة) ويشربون ماء (زمزم) الا أنه بالرغم من وجود كل أسباب الارتباط الخارجي وبالرغم من وجود الاتحاد الذي يجعل لفكرة الجامعة الاسلامية قوة حقيقية الى حد يستدعي اهتمام المبشرين النصارى والحكومات النصرانية — بالرغم من ذلك وهذا فانه يستحيل أن يكون من المسلمين عنصر حي حقيقي في استطاعته أن يجمع شمل السنيين والشيعة معا ويضم الاتراك والفرس والهنود الى العرب ليكافحوا ويدافعوا يداً واحدة على اتفاق وثقة متبادلة (١

وختم القسيس نلسن تقريره بقوله : « اسمحوا لي أن أقول لكم انه يظهر لي أن اجتماع المسلمين بجامعة اسلامية بكل المعنى الذي يدل عليه هذا اللفظ هو أمر وهمي لا ثمرة له غير توليد أحلام تقلق رجال السياسة الذين يغلب عليهم الخوف ويعتريهم المزاج العصبي »

وقال القسيس (وتر) عن الجامعة الاسلامية في افريقية : ان مدينة مكة والطرق الصوفية هما من اكبر العوامل على بث شعور الوحدة بين المسلمين والنفرة من كل شيء غير اسلامي ، وهذا ما يسمونه بالجامعة الاسلامية

واذا كان في افريقية عوامل أخرى توجب تقدم الاسلام فيها فهي الاحوال

---

١) ليعتبر المفرقون الذين يدعون الاتحاد ماذا يقوله المفكرون في ثمرتهم بعد أن كان لهم اليد الطولى في ايجاد أسباب هذه التفرقة وليعتبر المخربون ممن يسمون انفسهم بالوطنيين وليعلموا انهم بهذه التفرقة التي يدعون اليها انما يخدمون أوربة السياسية واوربة الدينية في آن واحد وغاية ما ترمي اليه أوربة هو أن يوجد في الامة أحزاب مثل الحزب الوطني المصري وجرائد مخربة مثل جرائده وجريدة « الجريدة » اذا انها من أهم معاول الهدم وعوامل التفرقة

وماذا تقول « المجموعة المصرية » والحزب الوطني المصري الآن وقد صرح الانكليز بعزمهم على جعل الاسكندرية موقعاً دفاعياً بحرياً؟ أيمنعونها ذلك بقوة « المجموعة المصرية » وجيادها أم بشعور الشيخ عبد العزيز جاويش واضرابه الذين سالوا بين كثير من فضلاء شبان الحزب الوطني الاسلامي وبين الانتفاع بمواهبهم واستعدادهم وفرقوا شمل الامة بالغش والخداع والتغرير ؟

صاحبه محاسن رضا

المساعدة التي يتصف بها الاسلام ومركز بلاده الجغرافي وارتقاء الشعوب الاسلامية في السودان عن الشعوب الزنجية ثم ان للحالة الاقتصادية والتجارة الداخلية تأثيرا كبيراً على التجر و بانوية ومقاطعة بحيرة تشاد لان التجارة في هذه الاصقاع كلها بيد القبائل الاسلامية . وأما التجار الاوربيون فيهتمون ببلاد السواحل على الاكثر مع أن تجارة الذهب والملح والحديد والجلود والنارجيل (جوز الهند) ونقل هذه المحصولات يستخدم فيه ألوف من الوطنيين الذين يحتك بهم التجار ومن المحقق أن التاجر المسلم يبث في هؤلاء الوطنيين مع بضاعته التجارية دينه الاسلامي وحضارته الراقية . والحالة في السودان الغربي مثلها في السودان الشرقي

وللاسلام في أفريقية صديق آخر يساعده على انتشاره ، ولعلكم تستغربون اذا قلت لكم ان هذا الصديق هو الاستعمار الاوربي ، فان الذي يفعله الاستعمار بعد أن يسلب من الامراء المسلمين سلطتهم السياسية هو أنه يقرر الامن ويمهد السبيل للمسلمين(١) ، فبعد أن يكونوا منفورين من الوطنيين الوثنيين قبل الاستعمار الاوربي بسبب الاتجار بالرقيق يصبحون بعد منعه أصدقاء لهم فيتعامل الفريقان ويتفاهمان بكل حرية ومحبة .

ومن هذا يتبين أن الاستعمار يسلب من المستعمرات السلطة الاسلامية السياسية ولكنه يزيد الاسلام نفوذاً فيها .

ثم أسف صاحب التقرير أن المنافع الاسلامية تتم بارادة المستعمرين لانهم يفضلون استخدام المسلمين وتوظيفهم واستشهد على هذا بقول (اكسفلد) مفتش ارساليات التبشير اذ صرح في المؤتمر الاستعماري الالماني بأن الاسلام يتبع خطوات الاوربيين حيثما ذهبوا ، فلا توجد نقطة عسكرية أوربية بدون جنود مسلمين ولا توجد مصلحة استعمارية أوربية بدون مستخدمين مسلمين . ولا تكاد توجد مزرعة خالية من حانوت لمسلم يبيع فيه و يشتري

وتكلم (ورتر) عن المدرسة التي أسستها انكلترة في (سيره ليونه) بغرب

١) كأن الخطيب يود أن لا يكون للاسلام غير الاعداء منه ويضره أن يكون للمسلمين حرية دينية

افريقية لتعليم أطفال القبائل الاسلامية والوثنية باللغة العربية ، وعدم تعليمهم الديانة النصرانية احتفاظا بمبدإها في الحياد الديني

ثم قال : ولو اتفق أن المسلمين غضبوا للصور الموجودة في كتب دروس الاشياء فلا تتأخر ادارة المستعمرات الانكليزية عن استفتاء علماء الاسلام في الاستانة ومصر والهند استرضاء لآباء التلاميذ وأقاربهم

ثم أشار الى تقدم الاسلام في افريقية فتساءل عما اذا كان هنالك عمل مرتب ويد عاملة على نشره أم أنه ينتشر بطبعه ؟ وأجاب بأن من الصعب حل هذه المسألة، لان القوات الفعلية التي ينتشر بها الاسلام تختلف عن قوات المبشرين بالنصرانية. ولكن يظهر أن النظام في نشر دين الاسلام أقل مما نتصوره لان المسلمين يجهل بعضهم أخبار البعض الآخر وأحواله واذا اتفق أنهم اشتركوا في أمر ما فانما يكون ذلك بدون قصد . ومن الخطأ أن يقال ان الجامع الازهر يرسل ألوف المبشرين الى افريقية الوثنية للدعوة الى الاسلام لان الازهر ليس معهد تبشير كما هي مدارس اللاهوت في أوربة ، ويقال مثل ذلك عن كل المدارس الاسلامية في شمال افريقية. ويستثنى من ذلك المدارس التي يديرها مشايخ الطرق في الصحاري وفي السودان

وعاد قبل أن يختم تقريره فقال : الا ان هنالك قرائن كثيرة تدل على وجود يد تعمل بقصد لنشر الاسلام . فانه يظهر في ربوع افريقية من وقت الى آخر مبشرون متنقلون يدعون المهدوية ويثيرون الفتن الشديدة ؟ ومن الذي يمكنه أن يبين لنا علاقة أصول الدين بهؤلاء المبشرين المتنقلين ! ولا ريب أن بين ناشري القرآن الكثيرين في افريقية أناسا هم أعضاء سريون ينتسبون الى طرق دينية

وتكلم بعده القسيس سيمون عن حركة الجامعة الاسلامية في مالزية فقال : يزعم بعضهم أن الاسلام في الهند تنقصه الحياة وأنه غير مرتب وأنه صبياني. ولكن يجب علينا أن لا ننسى ارتباط الاسلام في الهند بمكة . وهذا الارتباط يدعو سكان جزائر مالزية الى الاعتقاد بأنهم جزء من مجموع كبير. وأن سلطة النصارى عليهم شيء موقت . وسيأتي يوم يجيئهم فيه السلطان العثماني الذي هو أكبر أمير في أوربة ومرتبط بأواصر المودة مع أمبراطور المانية فينقذهم من يد النصارى

عقب حرب دينية . ونحن نرى البوجيين يبدون الآن كرات سحرية لتستعمل في محاربة هولندة يوم تنشب المعركة المنتظرة

ولكن عيبا يفي هؤلاء آمالهم على الجامعة الاسلامية لان التربية النصرانية قد ابتثت في دمائهم بفضل مدارس التبشير وباحتياطات استعدتها حكومة هولندة من أصول الدين النصراني ومن شأنها أن تزعزع آمال المسلمين الباطلة !

وقال بعد هذا في ختام تقريره : ان العامل الذي جمع هذه الشعوب وربطها برابطة الجامعة الاسلامية هو العقد الذي يضمره سكان البلاد للفاتحين الاوربيين ولكن (الهبة) التي تبثها ارساليات التبشير النصرانية ستضعف هذه الرابطة وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفتح الاجنبي !

عجالة من رحلة الهند

(لصاحب المنار)

٣

التعليم الديني في الهند

سألت عن مدارس الحكومة الانكليزية في الهند فقيل لي ليس فيها تعليم ديني ألبتة فلا يعلم فيها دين الحكومة ولا دين أحد من الاهالي (كما مر في النبذة الاولى ج ٦ ص ٤٥٥) . وبلغني أن المجوس يعلمون دينهم في مدارسهم ولم يتسن لي زيارة شيء منها على ما كان من رغبتي في ذلك لما ذكرت من ارتقاء هذه الطائفة في علومها وآدابها وحضارتها وكنت أرى أفراداً من رجالها ونسائها على شاطئ البحر بعد طلوع الشمس يصلون بما يقرءون من الكتب الدينية فما كانت عبادة الشمس والنار والبحر مانعة لهم من الترقي المدني فكيف يمنع منها دين التوحيد والفطرة ؟

وكذلك الوثنيون يعلمون دينهم في مدارسهم ، وإن أدري أذلك عام فيها وفي جميع فرقهم ام لا . وقد دخلت في آكره مدرسة كبيرة لطائفة السنك فعلمت أنهم يعلمون دينهم فيها . وهذه الطائفة صارت تتصدى للدعوة الى دينها ، ولم يكن هذا معهودا عند الوثنيين من قبل ، وبلغني ان بعض الجهلة المتقنين الى الاسلام قد

اتخذوا الوثنية اجابة لدعائها (راجع الجزء السادس ص ٤٥٥) ، ولا عجب في ذلك بعد فشو نزغات الوثنية في المسلمين بدعاء اصحاب القبور واتخاذ قبورهم اوثانا ، واتخاذ توابيت لهم يطوف بها المسلمون الخرافيون في اسواق مدن الهند وشوارعها كما يطوف الوثنيون بأصنامهم ، حتى صار يصعب على اكثر علماء الاسلام في هذا العصر أن يقنعوا علماء الاديان الأخرى بان دينهم يمتاز على أي دين من تلك الاديان ، وكان الميز الأعلى له في أهله التوحيد الخالص الذي لا يتحقق الا بامتثال قوله تعالى « فلا تدعو مع الله احدا » وامثال هذه الآية من الآيات الكثيرة . فاما التوحيد اللساني الذي يظن اكثر المشتغلين بالعلوم الاسلامية انه خاص بالمسلمين فما هو خاص بالمسلمين ، وفي بحثي مع ذلك البرهمي في مدينة (بارس) المقدسة عندهم عبرة للمعتبرين ، فانه زعم ان جميع الملل اخذت التوحيد عنهم لانهم أقدم الأمم فيه ، وأن الأولياء الواصلين من المسلمين إنما يرتقون الى أصل دين البراهمة الذي هو وحدة الوجود كشمس الدين التبريزي ومحي الدين بن عربي (راجع ص ٤٥٦ من الجزء السادس) ، وهو يحفظ كثيرا من كلامهم ويطبقه على دينه ، ولا يرى عبادة بعض المخلوقات التي لها مزية في نفع البشر تنافي التوحيد والوحدة لانها لا تعبد إلا لأنها مظهر الفيض الالهي كما يزعم ، ويؤيد كلامه بنقول عن صوفيتهم وصفوية المسلمين.

وقد اسمعني كاهن السنك عند قبر ملكهم في لاهور طائفة من كتابهم المقدس كلها من اعلى الكلام في توحيد الله وتقديسه (راجع ج ٦ ص ٤٥٥) وعزو كل شيء في الكون اليه ، ولم يتعمد الكاهن اختيار ما قرأه بل فتح الكتاب امامي وقرأ من حيث فتح ، وانك على هذا الكلام المؤثر في التوحيد الخاص ترى تجاه قبة قبر الملك شبه منصة في بناء آخر عليها الصنم ذو الأيدي الثمان الذي يزوره السنك والمسلمون جميعا للاستشفاع به اذا أصابهم مرض الجدري (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون)

***

اما المسلمون فكانت سوق العلوم الدينية ووسائلها من العلوم العربية نافقة في كثير من مدنهم ثم كسدت مدة طويلة ما كان يظهر فيها الا قليل من العلماء ثم جددها (ولي الله الدهلوي) صاحب كتاب حجة الله البالغة بنزوعه الى الاستقلال بالفهم ، واجتناب التقليد الاعمى في كل علم ، وكان له خلائف يسيرون على طريقته ثم انحرفوا عنها ، وزجوا أنفسهم في غمرة التقليد اتباعا لجمهور الطلبة وابتغاء مرضاتهم ،

والعلم الصحيح والتقليد المحض ضدان لا يجتمعان ، وانما يجتمع مع التقليد ومخالفه الجدل والمراء ، فزال بذلك العلم الاستقلالي أو كاد ، وضعف ما يسمى بالعلم التقليدي أيضا كما ضعف في سائر الاقطار والبلاد ،

على انني رأيت في مدرسة (ديوبند) التي تلقب بازهر الهند نهضة دينية علمية جديدة أرجو ان يكون لها نفع عظيم . وهذه المدرسة لخلفاء ولي الله الدهلوي . وقد اقترحت على علماء هذه المدرسة الأخيار عدة اقتراحات في إصلاح التعليم وزيادة بعض العلوم العصرية في برنامجها (وهم يطلقون كلمة نصاب في معنى البرنامج او البرغرام في عرف مصر) وان يجعلوا دراسة الفلسفة اليونانية خاصة بطائفة من الطلبة وهم الذين يراد منهم الاختصاص في العلوم العقلية والفلسفة القديمة وتاريخ هذه العلوم ، وان يخصصوا لكل نوع من العلوم طائفة من طلبة القسم العالي لاجل التبوغ فيها بعد الاكتفاء من غيرها بالقدر اليسير ، ويعدوا بعضهم للدعوة الى الاسلام ، وبعضهم لارشاد عامة المسلمين ، على منهج مدرسة دار الدعوة والارشاد وان يعلموا المبتدئين اللغة العربية نفسها بالتكلم بها والترجمة قبل تعليمهم فنونها والفنون الشرعية المتوقفة عليها ، وحينئذ يسهل عليهم اقتحام العقبة الكؤود في طريق التعليم عندهم وعند سائر الأعاجم وهي قراءة الكتب العربية في جميع العلوم والفنون بالترجمة ، وانني بعد مذاكرة بعض اعلامهم في حال التعليم عندهم خطبت فيهم خطبة طويلة في احتفال عام اجتمع فيه المدرسون والطلبة أودعتها هذه الاقتراحات وغيرها من النصائح التي خطرت على بالي في ذلك الموقف . فرأيتهم قد وافقوني في جميع ما قلته ، بل كانوا قد سبقوا الى الفكر والعمل ببعضه من قبل وأسسوا جمعية دينية للمدرسة سموها جمعية الانصار

ما قرت عيني بشيء في الهند كما قرت برؤية مدرسة ديوبند ، ولا سرت بشيء هناك كسروري بما لاح لها من الغيرة والاخلاص في علماء هذه المدرسة . وكان كثير من اخواني المسلمين في بلاد الهند المختلفة يذكرون لي هذه المدرسة ويصف رجال الدنيا منهم علماءها بالجمود والتعصب ، ويظهرون رغبتهم في إصلاح تعميم فهمها وقد رأيتهم ولله الحمد فوق جميع ما سمعت عنهم من ثناء واتقاده وأرجو أن يصدق ظني فيهم بانهم من أبعد جميع من عرفت من علماء الاسلام الدينيين عن الجمود والغرور . وستكون الصلة بين مدرستهم ومدرسة دار الدعوة والارشاد وجماعتها داعة إن شاء الله تعالى . وسأذكر في الرحلة خبر زيارتي لهذه المدرسة بالتفصيل ، ومنه ما دار

من الخطب هنالك ولا سيما خطبة أحد العلماء في تاريخ المدرسة وسير العلم فيها

هذا وان للعلم الديني بقية في معاهد ومدارس أخرى من المدن الآهلة بالمسلمين كدهلي ولكنهنو ولاهور . واني لأرجو الخير والاصلاح لمدرسة (فتح بور) في دهلي بهمة ناظرها سيف الرحمن الافغاني وغيرته واخلاصه وقد سررت بزيارتي واجتماعي بجمهور العلماء والطلبة فيها ورحب بي بعضهم بخطبة عربية ارتجالية فاجبته بخطبة وجيزة أودعتها من النصائح في اصلاح التعليم وأهله ما فتح الله تعالى علي به هنالك . وحثثتهم على العناية بتعلم اللغة العربية بالقول والكتابة وترك قراءة الكتب بالترجمة فاظهروا الارتياح لذلك

أما مدرسة ندوة العلماء التي أسست لأجل اصلاح التعليم الديني ودراسة العلوم الاسلامية والعصرية كلها باللغة العربية والتي زرت الهند بدعوة جمعيتها وكنت رئيس احتفالها (اجتماعها العام) في هذا العام) فانني لم أقف على طريقة التعليم فيها ولم أختبر أحداً من طلبتها لأن أيام زيارتي لها كانت أيام عطلة الدراسة واشتغال الناظر والمعلمين بالاحتفال الذي لم يسبق له نظير في كثرة اقبال الناس عليه من البلاد الاسلامية الكثيرة . وقد ارتجل أحد طلبتها خطبة وجيزة بالعربية لم يكن فيها أطلق لساناً ولا أوسع مجالا من الطالب الذي خطب بالعربية في مدرسة (فتح بوري) في دهلي. وسيكتب لي رئيس الندوة بياناً مفصلا عن مدرستها ينشر في الرحلة ان شاء الله تعالى

يعنى أهل الهند بالمعقولات من المنطق والفلسفة القديمة والاصول فعنايتهم بها وبالحديث أشد من عناية أهل مصر والشام ، بل أقول انني لا أعرف أن شعباً من شعوب المسلمين يعنى بالحديث كعنايتهم ، فهذا الازهر أشهر المدارس الدينية وأكبرها كاد يكون علم الحديث فيه نسيا منسياً ، ولكن حظ مسلمي الهند من أحاديث الاحكام الفقهية انهم يتكلفون تطبيقها كلها على مذهبهم في الفروع والا حملوا ما يسيهم تطبيقه على النسخ عملا بقاعدة الكرخي وأمثاله من فقهاء المذاهب وهي : ان كلام أصحابهم (الحنفية) هو الاصل وكل من الكتاب والسنة يعرض عليه فان وافقه قبل وسمي حجة له ، وان خالفه أول أو ادعي نسخه ، الا أن يجدوا معلناما في سند الحديث فانهم يكتفون بذلك أمره كما قال الكرخي . وقد قلت لبعض كبار العلماء في الهند — وقد أنست منه الصلاح والانصاف — أليس هذا عين التحريف المعنوي الذي نعاه الكتاب العزيز على أهل الكتاب ؟ فقال: اللهم نعم ، قلت : فلا تقرءون الحديث وتقررون معناه بحسب المتبادر من لفظه وتجعلونه فوق المذاهب أو بمنزل

عنها ؟ قال ان هذا لا يرضي العلمية ولا يحضرون دروس الحديث الا اذا قرىء على هذه الطريقة . قلت اذا تؤثرون مرضاتهم على مرضاة الحق ؟ قال هذا هو الواقع !! ولكن بعض علماء ديوبند قال انه يسهل تطبيق جميع الاحاديث على مذهب الحنفية بغير تكليف وضرب لذلك بعض الأمثلة . وهذا أغرب كلام سمعته من المشتغلين بالعلم فان المسائل التي اختلف فيها أبو حنيفة مع مالك والشافعي واحمد وغيرهم من أئمة الفقه (رضي الله عنهم أجمعين) كثيرة جداً وهم كانوا اكثر رواية للحديث وكانوا فيه على نسبة تأخرهم فأحمد اكثر رواية من الشافعي والشافعي أكثر رواية من مالك وهذا أكثر رواية من أبي حنيفة . ثم أنهم كانوا أعرق منه في معرفة لغة الحديث لانهم أصلاء في العربية وهو دخيل فيها ، فاذا فرضنا انه كان أذكى ذهنا منهم كلهم فلا يمثل أن يصل بالذكاء الى أن يكون هو المصيب وحده في جميع المسائل المختلف فيها ولا يتفق لأحد منهم أن يصيب في مسألة ما على سعة علمهم ومعرفتهم واجتهادهم. ولا يلجأ الى الجواز العقلي وان كان محالا عادياً في مثل هذا الا الجدل المماري . على أنه مشترك الالزام فكما يجوز أن يصيب هذا في كل مسألة لانه ممكن بالامكان الخاص يجوز أن يكون ذلك هو المصيب ، ويجوز أن يخطئوا جميعاً ، وكما يجوز هذا عقلا يجوز شرعاً اذ ليس أحد منهم معصوماً ، ولكن المعقول الموافق لسنن الله تعالى هو أن كل واحد يخطىء ويصيب الا المعصوم

لا يتوهمن متوهم انني أريد بشيء من كلامي هذا تفضيل بعض هؤلاء الاعلام في اجتهاده على بعض وانما أعتقد أن كل واحد منهم يصيب ويخطئ وان الصواب ليس واجباً لاحدمنهم ولا وقفا عليه ولا لازما له اذ لا عصمة لأحدمنهم . وأما قول بعضهم ان مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب غيرنا خطأ يحتمل الصواب . فانما يصح مثله من المجتهد لأن اجتهاده أوصله الى الظن بان ما ذهب اليه هو الصواب ، ومقتضاه أن يظن ما خالفه خطأ ، وكل منهما يحتمل الصواب بطبيعة مفهومه . وأما المقلد فلا مذهب له وانما ينتمي الى المذهب الذي يجد عليه آباءه وقومه فان تحول عنه فانما يحول لمنفعة تعرض له في غيره لان المذاهب عبارة عن طريقة يجري عليها المجتهد في استنباط الاحكام ، وأين المقلد في ذلك ؟ ولو كان له مذهب يذهب اليه في الفهم والاستنباط لما انتسب الى شخص أحد من العلماء فقيل مالكي وشافعي . واني أراني أطلت في هذه المسألة ولم أكن اريد الخوض فيها ولا هذه المجالة بموضع لها ولكن جميح القلم فلنرد جماحه ولنعد الى ما كنا فيه

واذا كانت قراءة احاديث الاحكام حجة على من يتعمد تأويلها واخراجها عما يتبادر الى فهمه من معناها وإضلالا لمن يثق هذا التأويل بالقبول ، فهذا لا يتعدى ما اختلفت فيه المذاهب والآراء الفقهية من الاحاديث ، ويستفيد المشتغلون بالحديث من سائر الاحاديث آدابا وحكما وعلوما لا يجدونها في كتب الفقه ولا في غيرها من كتب العلم . وقد كان من تأثير الاشتغال بها أن صار في الهند طائفة كبيرة تعمل بها وبما يتبادر من الكتاب العزيز لا يقلدون دينهم أحدا وانما يستعينون بكلام العلماء على فهم الكتاب والسنة . وهم يسمون أنفسهم أهل الحديث ، ويطلق عليهم عوام الحنفية لفظ « وهابية » وقد يكون فيهم من لم يطلع على شيء من كلام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الذي ينسبونهم اليه . وسيرة هؤلاء الشخصية احسن من سيرة سائر فرق المسلمين المنتمين الى المذاهب ، فهم يجتنبون الفواحش والمنكرات والبدع كلها ولا سيما بدع القبور ، فاذا زاروها وقفوا عند حدود السنة المأثورة من الدعاء والاعتبار ، ويحافظون على صلواتهم وغيرها من الفرائض ويصدقون في معاملاتهم الدنيوية وينصحون

وجملة القول ان التعليم الديني كان قد ضعف في الهند كما ضعف في سائر الاقطار ، وقد طفق يجدد قوته ، ويعيد ما فقد من استقلاله ، ويصلح ما فسد من طرقه وأساليبه ، ويوشك ان يظهر أثر الاصلاح ونتيجته في (ديوبند) قبل ظهورهما في الازهر

*

الحالة السياسية في الهند

السياسة فتناها تركها الكتاب والمؤرخ لا تتركه ، وانني رحلت الى الهند وأنا أنوي ان أقصر عملي فيها على اختبار حال اخواني المسلمين في الدين والعلم الديني والدنيوي لا احفل بغير ذلك ولا أعنى بالبحث عنه ، ولا سيما السياسة ، ولكن الحكومة الانكليزية هنالك جعلتني في موضع التهمة واتهمتني بالسياسية فأذكت عليّ العيون والجواسيس فكانوا أتبع لي من ظلي من حيث أفطن لهم ومن حيث لا أفطن . ومنعت جمعية ندوة العلماء عما كانت تريده من اقامة اقواس الزينة وعمدها امام محطة (لكهنو) وفي شوارعها لاجلي ، وكادت تمنعها من جعلي رئيسا لاحتفالها لولا أن أقنع رئيسها الوالي الانكليزي بأنني رجل علم ودين لا رجل سياسة ، وذكر له ان من رأيي ان الجامعة الاسلامية لا وجود لها ولا ضرر في وجودها على الاستعمار الاوربي ، واستشهد على هذا بجريدة انكليزية نقلت هذا الرأي في خطبة للدكتور مرجليوث الاستاذ في مدرسة اكسفورد الجامعة في انكلترة

وقد عملت بما نويت فلم أتعمد البحث في السياسة لذاتها وكنت احسن التخلص ممن يسألني مسائل سياسية فلا أسيء رده ولا اخوض معه كثيرا ولكن جاء في كثير منها عفوا أو نافلة تابعة لمباحث أخرى كبحثي مع بعض الاذكياء المتعلمين في المدارس العالية في الهند وانكلترة وغيرهم عن رأيهم في مستقبل المسلمين مع الوثنيين في الهند، وقد جاء الكثير مما سمعته مطابقا لما كنت أعلمه أو أعتقده استنباطا من الاخبار التي تصل الينا في الجرائد . ولكنني سمعت من الآراء مالم يكن يخطر لي ببال

يعرف اكثر المشتغلين بالسياسة في الاقطار المختلفة ان وثني الهند قد ارتقوا في العلوم العصرية ارتقاء أشعرهم بالحياة القومية ودفعهم الى مطالبة الانكليز بحقوقهم في ادارة بلادهم وأحكامها ، وأنهم صاروا يهددون الحكومة باغتيال رجالها ونسف سككها الحديدية ومبانيها الاميرية بالديناميت ، وقد فعلوا ذلك غير مرة ، وهم يحتجون على الحكومة بأنهم مستعدون لكل عمل في الحكومة كاستعداد الانكليز وغيرهم أو هم احسن استعداداً ، ويطلبون منها أن تمتحنهم مع رجالها في أي القوانين الادارية والقضائية وفي أي العلوم التي يتوقف على اتقانها أي عمل من الاعمال في أي فرع من فروع الحكومة ومصالحها ، فان لم يكونوا أعلم منهم فلا تقبل لهم طلبا . وكذلك يطلبون تجربتهم في تلك الاعمال فان لم يقوموا بها كما يقوم بها العمال من الانكليز ، واحسن فانهم يعذرونها في حرمانها اياهم أو اعطائهم دون حقهم منها

وهم في اقليم بنغاله أرقى منهم في غيره واشد عصبية . وكانت الحكومة قسمت هذا الاقليم الى ولايتين ، وكان من مصلحتها في ذلك ان المسلمين يكثرون في احدى هاتين الولايتين فيكون لها العذر بأن تكثر من عمالهم فيه — وضلعهم معها — فيضعف بذلك نفوذ الوثنيين ، فما زالوا يلحون في جعله ولاية واحدة كما كان ، ويهددون الحكومة اذا لم تفعل حتى انفذ ذلك ملك الانكليز عند إلمامه بالهند للاحتفال بتتويجه ، وقد ساء ذلك المسلمين اشد الاستياء وعدوه جبنا من الحكومة وخوفا من الوثنيين . ويقال ان أمر الملك بجعل (دهلي) قاعدة الممالك الهندية ومركز حاكمها العام بدلا من (كلكته) قد قصد به ارضاء المسلمين وتطييب قلوبهم لانهم كثيرون في دهلي وولايتها ، وكانت عاصمة ملكهم من قبل . وقد التزمت الحكومة للمسلمين حفظ حقوقهم في الوظائف في بنغاله ، وان كانوا الآن ستة في المئة من مجموع أهلها (كالقبط بالنسبة الى مسلمي مصر) وكانوا في أحد قسميها السابقين زهاء الثلث .

لم يمنع هذا بعض المسلمين من اظهار السخط الشديد للحكومة والتشديد في انتقادها ولومها في الجرائد وكان النواب وقار الملك من كتب في ذلك كتابة شديدة على أناته ووقاره وصنه ، فما بالك بالشبان كالكاتب البليغ صاحب جريدة (زميندار) التي أنشئت حديثا في لاهور ، فانه كان شديد المعارضة ، قوي العارضة ، حتى أحرج صدر الحكومة فحملته غرامة حملتها عنه الأمة وأظهرت الميل اليه ، والحدب عليه ، وانبرى للرد عليه صديقنا صاحب جريدة (وطن) وحمي الوطيس بينهما ، ولم نخل ازدود بينهما من المطاعن الشخصية ، ورأيت عقلاء المسلمين في المدن التي زرتها قبل زيارة لاهور متألمين من هذا الخلاف بين الجريدتين ، ويتمنون اصلاح ذات بين الكاتبين ، ولا يجدون الى ذلك سبيلا ، وقد وفقني الله تعالى للاصلاح بينهما فان كل واحد منهما قد أكرمني بتحقيق رجائي بعد ان حاول اقناعي بعذره وكون الحق معه ، فأنا اشكر لهما ذلك واسأل الله لهما التوفيق في خدمة امتهما

كان المعروف عندنا بمصر أن حكومة الهند تتألف المسلمين وتساعدهم على الارتقاء لتجعلهم في وجه الوثنيين الذين طفقوا يجاذبونها زمام الحكم في البلاد ، وان المسلمين ضلعهم مع الحكومة يعتزون بها على الوثنيين ولا يريدون الاتفاق مع الوثنيين عليها. وقد ظهر لي من كلام كثير من أهل البصيرة تفصيل في هذه المسألة ، مجمله أن سياسة الحكومة غامضة فيها بعض رجالها يظهر الميل الى المسلمين والرغبة في ارتقائهم ولكن مع الاحتراس في العمل ، وبعضهم يظهر الميل الى مراعاة قوة الوثنيين ، ولأجل هذا يوجد في المسلمين الناس يرجحون الاتفاق مع الوثنيين وان يكونوا معهم إلبا(١) واحدا على الحكومة ، وأكثرهم يرجحون جانب الحكومة ، ويرجون بالاخلاص لها ان يرتقوا في العلوم والوظائف ، ويرون أن الوثنيين لا ينصفونهم ، ولا يجعلون لهم حظا من الحكم يليق بهم اذا هم ظفروا بما يسعون اليه من الاستقلال. وقد سمعت من بعضهم ان الوثنيين يستميلونهم اليهم ، ويقولون لهم اننا امة واحدة يجمعنا وطن واحد ، وهؤلاء الانكليز يحتقروننا جميعا فيجب ان نكون إلبا واحدا عليهم

الحكومة الانكليزية بارعة في اقامة ميزان السياسة بين الشعوب والانتفاع من الخلاف بينهم ، ولكنني أظن أن الموازنة الحاضرة بين مسلمي الهند ووثنييها لا يطول أمدها ، فاما أن تجمع هذه الحكومة أمرها في مساعدة المسلمين على الارتقاء الصحيح الذي يساوون به الوثنيين فيكونوا كلهم معها ظاهرا وباطنا ، واما ان تلهيهم بالتافه حتى

(١) الالب القوم يجتمعون على عداوة واحد

يعتقدون انها تبث بهم فيكونوا كلهم مع الوثنيين إلبا واحدا ، وحينئذ يتغير وجه السياسة في الهند وان كانت قوى الانكليز الادارية والسياسية والمالية والالية تكفل لهم طول زمن الاستيلاء التام على تلك الممالك الواسعة مادامت لاتخاف ان تعارضها فيه قوة خارجية ، بل هي تضم قسما كبيرا من ايران الى الهند وبلوخستان وتطمع فيما هو أعظم من ذلك والى الله المصير .

نهضة آسيوية

كتب المستشرق المجري « فامباري » الاستاذ في جامعة « بودابست » (١) في مجلة القرن التاسع عشر في عدد ابريل (نيسان) من هذه السنة بحثاً مسهباً تحت عنوان « المسلمون والبوذيون » طعن فيه بالنهضة الآسيوية عموماً وبالحركة الاسلامية خصوصاً وهو الذي كتب مقالات ضافية في مجلة القرن التاسع عشر هذه على أثر خلع السلطان عبد الحميد بسط فيها آراءه في ذلك الخليع وفي رجال الدولة العثمانية كافة وتوسم في نقد عادات الاتراك وسلاطينهم وطعن بهم وبوزرائهم أقبح طعن ، ونسب الى السلطان عبد الحميد الجهل والتعصب وفساد الاخلاق وسوء التربية وما قاله عن سعيد باشا الصدر السابق : إنه كالثعلب آية في الاحتيال والمخادعة .

وقد كانت عربت جريدة الافكار التي تصدر في البرازيل مقاله هذا في حينه وعلقت عليه تعليقاً وصفت فيه ذبذبة هذا الرجل الطائر الصيت وذكرت غشه وخداعه وتناقضه وقالت فيه مجلة المقتطف وقتئذ : ان عمل الاستاذ هذا محط بقدر العلم ومخل بشرف العلماء ،

وقالت الافكار في عدد ٦٢٨ الذي نلخص عنه هذه المقدمة ونتبعها بنقل مقالته الآنفة الذكر عنها ـ قالت :

« أمامنا الآن مثال آخر على رياء ذلك المستشرق وخداعه الرأي العام ، ونعني

« ١ » فامباري هذا كان استاذاً خصوصياً للسلطان السابق وقد أقام في قصر النجم « يلدز » زمنا طويلا وكان يطري سياسة السلطان عبد الحميد ويحط من قدر الشعوب العثمانية لما كان يتقدم السلطان في مقابل ذلك من الدنانير العديدة ولم يكن الاستاذ ليبالي بتضليل الرأي العام الاوربي فيما كان يخدع به دائرة المعارف الفرنسية وغيرها وفامباري هذا له معرفة بكثير من البلاد الاسلامية